نبـــوغ

تستطيع أن تدرس عقليات الأفراد والجماعات وتفكير الشعوب والحكومات فلن ترى عقلية كهذه العقلية البديعة الفذة الرائعة التى تظهر فى بعض ماتتخذه وزارتنا من القرارات ، ولن ترى تفكيرا فذا نادرا غريبا فى كل شىء كهذا التفكير الذى تراه فى بعض ماتقدم عليه وزارتنا من الأمر . ومصدر ذلك فيما يظهر أن مصر نبغت قبل الأوان ووصلت إلى ماوصلت إليه من الرقى من طريق الطفرة أو من طريق المصادفة أو من طريق تستطيع أن تسميها كما شئت ولكنها ليست هى الطريق التى سلكتها البلاد الأخرى لتصل إلى ماوصلت إليه من السؤدد والمجد ، ومن العظمة وبعد الصوت وإلا ففسر لى إن استطعت هذه المذكرة التى يقال إنها رفعت إلى مجلس الوزراء لتقوية سلاح الطيران فى مصر ، ولفتح اعتماد كما يقولون بمبلغ من المال يكاد يصل إلى ستين الفا من الجنيهات يؤخذ من الاحتياطى العام ، وفى غيبة البرلمان لتشترى به طائفة من الطيارات تقوى سلاح الطيران المصرى ، وتجعله ملائما لا لحاجة مصر ، ولالمنافعها ولكن لمكانها بين البلاد الراقية .

كان البرلمان منعقدا إلى أمد قريب فلم يخطر للوزارة أن تقترح عليه منح هذا الاعتماد . وكان البرلمان ينظر فى الميزانية إلى أمد قريب فلم يخطر للوزارة أن ترصد هذا المبلغ فى ميزانية الحربية حتى إذا فرغ البرلمان من نظر الميزانية وأقرها كما أذن الله له أن يقرها ، وحتى إذا انتهت الدورة البرلمانية وأذن الله للشيوخ والنواب أن يتفرقوا ليصطافوا ويستريحوا خطر للوزارة أنها نسيت سلاح الطيران وتقوية سلاح الطيران وجعله ملائما لمكانة مصر ، لائقا بحظها العظيم من ارتفاع الذكر وعلو القدر ، وجلال الخطر ، وكيف ترضى مصر بسلاحها الجوى وهو لايكاد يذكر بالقياس إلى سلاح العراق ، فضلا عن غير العراق من الدول الأوربية الصغرى ، فضلا عن الدول الأوربية الكبرى .

ومادامت فى مصر جامعة ، ومادامت فيها جمعية جغرافية ، وأخرى للحشرات وثالثة

كوكب الشرق فى ١٨ - ٧ - ١٩٣٣

للاقتصاد والإحصاء ورابعة للطب ، وخامسة للهندسة ، وسادسة للأحياء المائية ، ومادام فيها مجمع لغوى ، نستغفر الله ، بل مرسوم بإنشاء مجمع لغوى ، ومادام فيها شرطة ومادام لها جيش يمشى على الأرض وسفن تخفر الساحل وتجرى فى البحر ، فيجب أن يكون لها طيارات تطير فى الجو وتصعد فى السماء وتنتقل بين القاهرة والاسكندرية وتبعد أحيانا حتى تصل إلى مرسى مطروح .

ليست الغرابة فى أن يكون لمصر سرب أو أسراب من الطيارات مادام فى مصر الترام والسيارات ومادام فى مصر السفن والقطارات فالطيارة مظهر من مظاهر الحضارة وآية من آيات العظمة ، ويجب أن تجتمع لمصر مظاهر الحضارة وآيات العظمة كلها ، ويجب أن تثبت مصر لأى بلد من بلاد الأرض فى ميدان التكاثر والتفاخر ، والدعاية والإعلان .

إنما الغريب أن تنسى الوزارة سلاح الطيران هذا ، ومايجب لتقويته من الأهبة ، ومايحتاج إليه من المال ، وألا تذكر ذلك إلا بعد أن تصدر الميزانية ويتفرق البرلمان . وأعجب من هذا كله وأبلغ فى الغرابة أن تكون العلة لتقوية سلاح الطيران فى مصر أن مؤتمرا للطيران سينعقد عندنا فى العام المقبل وستمثل فيه دول لها أسراب من الطيارات . لها طيارات الحرب وطيارات السلم ، ولها طيارات البر وطيارات البحر حتى إذا اجتمع هذا المؤتمر فى القاهرة نظر فلم يجد سلاح الطيران فى مصر يبلغ أصابع اليد الواحدة عددا . إذن تفتضح مصر ، ويضحك منها المؤتمرون ، وإذن تشيع عن مصر قالة السوء ، وتصبح مصر حديث المتحدثين ولهو اللاهين .

وما ينبغى لمصر أن تكون موضوع السخرية واللهو ، وفيها وزارة ولها برلمان ، وإليهاتدعى المؤتمرات فتسرع وتستقبل أحسن استقبال . وإذن فما دام مؤتمر الطيران سيعقد فى القاهرة فيجب أن تشترى الوزارة طيارات لهذا المؤتمر ، ولا تقل إن الأصل أن ينعقد المؤتمر فى القاهرة لأن فى القاهرة طيارات ، فذلك تفكير مثلك ومثلى من الذين لا يحسنون المنطق ولايعرفون أصول التفكير . وذلك تفكير الشعوب الأوربية والامريكية التى سلكت إلى الرقى والعظمة طريقهما القديمة المعروفة التى تلائم المنطق القديم والتفكير العتيق ، والتى طال عليها الزمن حتى بليت وأصبحت من أحاديث الشيوخ . فأما الشعوب التى نهضت فجأة وارتفعت من طريق الطفرة ونبغت نبوغا غير مألوف فلها تفكير آخر ومنطق آخر . فهى تدعو مؤتمر الموسيقى لينشىء لها الموسيقى ، وهى تدعو مؤتمر الطيران ثم تشترى له الطيارات . ولاتقل إن مصر تشقى فى هذا العهد السعيد بأزمة مهلكة مدمرة ، وأن مؤتمر الطيران هذا سيكلفها الألوف وأن ماستشتريه

من الطيارات سيكلفها عشرات الألوف ، وإنها كانت تستطيع أن تقتصد هذه الألوف فتحتفظ بها لساعات الضيق والضنك أو تنفقها على المأزومين والمكلومين ، وعلى المحرومين والمكروبين . لاتقل عن هذا فهو كلام مثلك ومثلى من الذين لايحسنون المنطق ولايتقنون التفكير ، وهو كلام الشعوب الأوربية والأمريكية التى تفكر على النحو القديم ، وتقدر على النحو القديم ، ولاتستطيع مجاراة العصر الحديث فيما ابتكروا من أساليب القول والعمل ، ومن مناهج التفكير والتقدير . فأما الشعوب الناهضة حقا ، النابغة حقا ، التى يصطاف وزراؤها فى الإسكندرية ليعملوا فى راحة ونعيم ، ويستشفى رئيس وزرائها فى أوربا شهرا ليستقيل بعد أن يأخذ بحظ من الشفاء . هذه الشعوب لاتفكر على هذا النحو ، ولاتعمل على هذا النحو ، وإنما تنفق حين يجب الاقتصاد ، وحيث يجب الاقتصاد ، وتقتصد حين يجب الإنفاق وحيث يجب الإنفاق .

ولاتقل إنما يقوى سلاح الطيران ويعرض على المؤتمر حين يكون الذين يديرونه ويسيرونه ويعرضونه على المؤتمرين من المصريين ، لا من الانجليز ، وإن المؤتمر سيضحك من مصر أو سيبتسم من مصر ليضحك منها بعد أن يعود حين يرى طيارات اشتريت من الخارج يديرها قوم دعوا من الخارج ويسيرها قوم دعوا من الخارج ، ولا ينهض المصريون فيها بعمل يذكر .

لاتقل هذا فهذا كلام مثلى ومثلك من الذين لايحسنون المنطق ولايتقنون التفكير . وهذا كلام الأوربيين والأمريكيين الذين لم يرتقوا فجأة ولم ينبغوا مصادفة ، وإنما سلكوا إلى الرقى والنبوغ طريقهما المعروفة العتيقة .

فأما الشعوب الناهضة حقا ، النابغة حقا فليس يعنيها أن تصنع طياراتها فى مصانعها ، ولا أن يدير أبناؤها هذه الطيارات ويسيروها ، وإنما الذى يعنيها أن تكون لها طيارات تطير ، وقد كتب عليها اسم مصر . ومادام عندها المال الذى تشترى به الطيارات فلا ينبغى لها أن تتكلف صنع الطيارات . ومادام عندها المال الذى تؤجر به الطيارين من الأجانب فليس ينبغى أن تنتظر حتى تهيىء الطيارين من أبنائها .

ولاتقل قد كان ينبغى أن تلتمس لتقوية سلاح الطيران علة غير هذه العلة التى نشرتها الصحف فمصر فى حاجة إلى سلاح الطيران يحميها من جيرانها فى الشرق ، ويحميها من جيرانها فى الغرب ، ويحميها من شر قد يأتيها من الشمال أو خطر قد يدهمها من الجنوب ، فذلك شىء لايقال ولو قالته الحكومة لأغرت الإيطاليين فى طرابلس ،

والانجليز فى فلسطين وفى السودان ، ودول البحر الأبيض المتوسط بشراء الطيارات واتخاذ أسلحة للطيران تعدل هذا السلاح المصرى أو تربو عليه . ومصر – كما تعلم – تريد ويجب عليها أن تريد، ولابد لها من أن تريد التفوق على جيرانها فى هذا السلاح الجوى الخطير .

ولاتقل ان هناك علة أخرى خير من هذه العلة التى نشرتها الصحف كان ينبغى أن تذكر لتقوية سلاح الطيرن . فمصر فى حاجة إلى هذا السلاح القوى لتقمع به حركات الوفد حين يتحرك ومظاهرات الشعب حين يحتشد . ولتضطر به الوفد إلى السكون ان هم بالحركة والشعب إلى التفرق إن أراد الاحتشاد بعد أن ظهر أن بلاء الجيش والشرطة فى ذلك أقل مما ينبغى .

لاتقل هذا ، فهذا كلام لايقال . ومن يدرى ؟ لعل الوزارة إن قالته أن تغرى الوفد بأن يتخذ من الوسائل والأسباب مايمكنه من أن يتحرك فى الجو ، وتغرى الشعب بأن يحتشد فى السماء . ومن يدرى ؟ لعل الوفد أن يشترى طيارات تقاوم طيارات الدولة ، وترد بلاءها إلى ما انتهى إليه بلاء الجيش وبلاء الشرطة .

صدقنى ليس فى الإمكان أبدع مما كان . ولم تكن الوزارة تستطيع إلا أن تنسى سلاح الطيران أثناء اجتماع البرلمان ، فلو قد ذكرته لناقش النواب ولناقش الشيوخ ولانكشفت الأسرار وبانت الخفايا ، وظهرت للدول الأجنبية من أمر الدفاع الوطنى على ماينبغى أن تجهل ، وعرف الوفد من هذا السلاح الذى يهيأ له مالاينبغى أن يعرف .

لم يكن بد من أن تنسى الحكومة هذا السلاح حين يخلو الجو من النواب والشيوخ وحتى تستطيع أن تفتح الاعتماد فى غير مناقشة ولاجدال ، وتشترى الطيارات فى غير قيل ولاقال ، وتتأهب للمؤتمر حتى إذا انعقد نظر فى الجو فرأى طيارات تطير والحكومة فى الوقت نفسه تتأهب لجيرانها إن أرادوا لها كيدا ، أودبروا لها شرا . وهى فى الوقت نفسه تتأهب للوفد إن تحرك وللشعب إن احتشد ، فهى تحقق الأغراض كلها من أيسر الطرق ، وأى شىء أيسر من أن تقتطع عشرات الآلاف من هذه الملايين التى يسمونها الاحتياطى ، ومن أن تشترى الطيارات فإذا الجيران أمام الأمر الواقع ، وإذا الوفد والشعب أمام الحقائق الثابتة وإذا المؤتمر ينظر فلا يرى جونا خاليا من هذه الأجنحة التى ترتفع فى السماء فترفع مجد مصر ، لا أقول إلى السحاب ، بل إلى النجوم . ثم يزعم الناس أن الذكاء المصرى محدود ، قصير الخطى ، ضعيف الجناح كلا ، ليس للذكاء المصرى حد ، وليس للنبوغ المصرى غاية . فمن أنكر ذلك أو جادل فيه فليبين لنا أين

توجد وزارة كوزارتنا تفكر كما تفكر ، وتقدم كما تقدر ، وتصيب بحجر واحد عصافير لايبلغها الإحصاء .

تبارك الله فهو وحده القادر على أن يكشف سر النبوغ